الاستعارة وانتهاك مبدأ الكيف عند جرايس قراءةٌ تداولية في وصيةِ النبي الأكرم صلى الله عليه واله وسلم لأبي ذرٍ الغفاري رضوان الله عليه

أ.د. ليث قابل الوائلي

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

حيدر عيدان كاظم السعدي

طالب دراسات عليا / ماجستير

Metaphor and violation of the principle of quality according to Grace, a pragmatic reading in the will of the Noble Prophet, peace be upon him, to Abu Dhar Al-Ghafari

Prof Dr. Laith Qabil Al-Waeli

Head of the Arabic DepartmentUniversity of Karbala University/ College of Education for Humanities/ Department of Arabic

Haider Aidan Kathum Al-Saadi

Graduate/Master student

ملخص البحث

يهدف هذا البحث لدراسة الاستعارة في ضوء مبدأ الاستلزام الحواري لعالم اللسانيات التداولية بول جرايس في قاعدة الكيف، إذ إن الخرق من خلال الاستعارة يعدُّ من أهم أساليب الخرق الكيفي، ومنها يتوصّل إلى تزيين الألفاظ، وتحسين الصور البيانية وبلاغة المعنى من ناحيتي اللفظ والابتكار، وفيها قدرة التعبير على تجسيد الأفكار والمشاعر والمخيّلات في عبارات تتجاوز المألوف، وقدرة على ربط المعاني بشكل مخالف للمنطوق الحرفي، ممّا يستلزم دلالات تداولية يهدفها ويبتغيها المتكلم في عملية التواصل مع المتلقي.

Abstract

This research aims to study metaphor in the light of the principle of dialogical implication by the scholar of pragmatic linguistics Paul Grice on qualitative basis. The breach through metaphor is one of the most important methods of qualitative breach, from which the embellishment of words, the improvement of graphic images and the eloquence of meaning in terms of pronunciation and innovation are achieved. It also has the ability of expression by the embodiment of ideas, feelings and imaginations in phrases that go beyond the ordinary as well as the ability to link meanings in a manner that is contrary to the literal utterance, which requires pragmatic connotations that the speaker aims and desires in the process of communicating with the recipient.

المُقَدَّمَة

الحَمْد للهِ رَبّ العالَمَيْن، فَاطِر السَمَوات وَالأَرْضَيْن، وَالصَلاَة وَالسَلام عَلَى سَيِّد المُرْسِلِيْنَ وَخاتَم النَبِيِّيْنَ مُحَمَّد وَاله المَيامِين الطَّاهِرين، وَمَن تَبِعَهُم بِإِحْسان إلى يَوْم الدين .

وَبَعْدِ . .

تعدّ مَباحِث الإِسْتِلْزَام الحَوارِيّ مَن أَهَم مَباحِث التداوليات اللِسانِيَّة، وَهِيَ مِن أَبْرَز مَباحِثها الْفَعَالَة فِي اللِسانِيّات الحَدِيثَة، ولاسِيَّما مَبادِئ جرايس وما تبعها مَن مَبادِئ حَوارِيَّة، كانَ لَها نُصِيبها الْأَكْبَر فِي الدَرّاسات وَالأَبْحاث، وَقُد دَرسَتُ هُنا فِي هٰذا البَحْث المُتَواضِع خَرْقًا للمبدأ الثَّانِي وَهُوَ الْكَيْف مِنْ خِلَالِ أُسْلُوب الإِسْتِعَارَة وَمُخالفتها لِلْمَنْطُوق الْحَرْفِيّ للكيف، وَوَقَفتُ عَلَى أَهَم المُعانِي وَالدَلّالات التَداوُلِيَّة المُسْتَلْزِمَة مقاميا مَن عَمَلِيّات الخَرْق وَالمُخالفَة، وَالأَسْباب آلَتَيْ دَفعت المُتكَلِّم لِذلك، وَأَهَمّ المُعانِي آلَتَيْ تَمَخَّضت عَنها تلك الخُرُوقات، في ضَوْء وَصِيَّة النَبِيّ الأَكْرَم مُحَمَّد، صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَآله وَسَلَّم، لَصاحِبه الجَلِيل أَبِي ذَرٍ الْغِفَارِيّ، رِضْوان اللهُ تَعالى عَلَيهِ، لَمَا تَسْتَحِقّ مِنّا التأمِل وَالإِسْتِفاضَة مَن هَدْيه وَإِشاراته وَنَفَحاته، مُسْتَعِينًا بِكتاب اللهُ جَلّ وَعَلا الَّذِي لا يأتيه الباطِل مَن بَيْن يَدَيْه وَلِا مْن خَلْفه، وَمعاجم اللُّغَة، وَما كتبهُ المُخْتَصُّونَ عَنها، كَآفاق جَدِيدَة لِلدكتور مَحْمُود أَحْمَد نَحْلَة، واستراتيجيات الخطاب لِلشَهْرِيّ، وَبَعْض التَّفَاسِير المُعْتَبَرَة وَغَيْرها مِمّا ذَكَرتهُ فِي المصادَر، وَقد ابْتَدَأْتُ بِبَيان بَعْض المَفاهِيم لمبدأ الْكَيْف وقاعدته، وَمِنْ ثَمَّ الإِسْتِعَارَة وَمَفْهُومهَا مَعَ ذكر الأَمْثِلَة التَطْبِيقِيَّة من الوَصِيَّة المُبارَكَة، خاتمًا بِأَهَمّ النَتائِج التيْ انْتَهَى إِلَيّها البَحْث، راجيًا من اللهُ تَعالى أنَ أَكُون قَد وُفِّقت فِي كِتابَة بَحْثِي المُتَواضِع هٰذا، وَمَا تَوْفِيقِي إلا بِاللهُ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيّهِ

أُنِيب، وَهُوَ حَسبِي وَنعِمَ الوَكِيل.

وَالحَمْد للهِ رَبِّ العالَمَيْن

الاستلزام الحواري و قاعدة الكيف:-

يعدّ مبدأ الكيف ثاني مبدأ من مبادئ جرايس الأربعة وهي الكّم، والكيف، والملاءمة والطريقة في إطار ما أسماه بمبدأ التعاون الحواري.

إذا علمنا أن المفهوم الأساسي الذي يقوم عليه مبدأ الكيف هو الصدق وقاعدته (لا تقلّ ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقلّ ما ليس عندك دليل عليه)،[١] نعلم حينها أنَّ الخرق لهذا المبدأ يتمّ (بعدة أشكال كالتعبير المفرط في الغموض والالتباس وعدم الوضوح في التعبير بما فيه الكفاية وكل ما يستلزم التأويل، كذلك في الإسهاب في الإرسال للوصول إلى ما فيه أهمية من الأخبار ولإغناء عملية التبادل)[٢] الحواري بين المتكلم والمستمع، إن الإخلال بقواعد مقولة الكيف وحكمها يوفر أكثر أنواع الصور البيانية كالتهكّم، والاستعارة، والتعريض، والتلويح، والتفريط والإفراط، والمبالغة)[٣] كما أنَّ هناك أربع استراتيجيات تخرق قاعدة الكيف، وهي التناقضات والتهكّم والأمثلة البلاغية فضلا عن الاستعارة)؛ لأن الخروج عن القواعد عموما (يحصل لنا فائدة بعيدة هي أقرب إلى ما أسماه الاصوليون بـ المفهوم أو المسكوت عنه أو دلالة الدلالة)[٤].

من هنا سنسلط الضوء على الخرق الحاصل على المفهوم وفق مبدأ الكيف، والوقوف على المسوّغات والمبرّرات التي استدعت وفرضت على المتكلم البليغ المراعي لمبدأ الحوار الخروج والخرق لهذا المبدأ، ومحاولة استكناه تلك الاستلزامات وتحليلها على وفق الصور البيانية التي تتشكّل نتيجة هذا الخرق الكيفي المتعمد من المتكلم الحكيم، وأذكر هنا أن الأمثلة الواردة هي للمثال لا للحصر وإلا فإن النماذج كثيرة واستقراءها جميعا

يؤدي بنا للانزلاق عن المقام والخروج إلى غيره، لذا سأقتصر على الأوضح والأجلى من مصاديق خرق الكيف التي وردت في الوصية المباركة ومنه تعالى نستمد العون والسداد.

خرق مبدأ الكيف باستخدام الاستعارة:-

الاستعارة: من مباحث علم البيان

وهي لغة مأخوذة من العارية، و هو اسم من الإعارة، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر واصطلاحا هي استعمال لفظة في غير ما وضعت له في الأصل لعلاقة المعنيين الأصلي والمجازي[٥]، وهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل[٦]، وهي أبلغ من الحقيقة[٧]؛ لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه[٨]، وهي أوقع في النفوس من التصريح بالتشبيه[٩] وهي تقسم إلى: استعارة المحسوس للمحسوس والمحسوس للمعقول، ويمكن أن تعرّف بأنها تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي وهي مجردة ومرشحة ..)[١٠]

إن الخرق المقصود والحكيم من المتكلّم لقاعدة الكيف بواسطة الاستعارة، يولّد الاستلزام الحواري (ويتمّ هذا الاستلزام بواسطة عملية نقل وتحوّل القوة الحرفية إلى قوة أُخرى كتحوّل الاستفهام إلى دعاء- كما وإنه يتعيّن التمثيل للقوة الحرفية والقوة المستلزمة معا في البنية التحتية للجملة ، مع التأشير أن الثانية محولة عن الأولى).[١١]

(إذ إن جرايس يقترح تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات في المعاني إلى: معاني صريحة، ومعاني ضمنية، وتستلزم المعاني الضمنية معاني عرفية تلازم الجملة، ومعاني حوارية تلازم الدلالات الاستلزامية)[١٢] من هنا فإن المعاني الحرفية والمعاني المتضمّنة استلزاميا من خلال الاستعارة ستكون محل بحثنا في

الأمثلة الآتية من الوصية المباركة إذ نجد صورتها من خلال الاستلزام المتولّد من الاستعارة التي تهدف إلى (تطويع الواقع وضمان انسجام العالم ليهيمن عليه الإنسان، ويستطيع الحياة فيه، وخلق واقع جديد باستعارته يقصد به الإقناع؛ لأن الاستعارة قياس كاذب كما يقول (نيتشة)، من هنا جاءت صورة الاستعارة لتخرق أعراف متوارثة منها[١٣] صور حرفية لتستلزم منها دلالّات ومعاني مستلزمة لتحقيق التفاعل والانسجام مع المحيط والتأثير عليه وعلى المخاطب، لتحقيق مقاصد الخطاب (ولأن الاستعارة أكثر جريانا، وأبعد غورا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمنع عقلا فهي تفوق الجواهر في الشرف والفضيلة؛ لأنها تبرز البيان ابدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وهي تعطي الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ فأنت ترى الجماد فيها حيا ناطقا، والمعاني الخفية بادية جليّة، وهذه اشارات وتلميحات من بدائعها، وتنجلي أغراضها في التفاصيل)[١٤] لذا كانت الاستعارة من أجل مصاديق الخرق الكيفي وأكثرها صورا وبيانا واستلزاما لمعاني يريد المتكلم تحقيقها وتقريرها في نفس المتكلّم (وهي تخرج مبدأ الكيف لعدم نقلها الواقع كما هو، فهي تقفز على المعنى الحقيقي وتنتهك مجريات النظم اللغوية)[١٥]، فالاستعارة تفترق عن التشبيه في (الكيفية) في اثبات معنى من المعاني أو حكم من الأحكام، وهي في أعلى درجات الإثبات وأقوى في الإيحاء لما تتضمّنه من سعة الدلالة وقوة التصوير)[١٦].

الأمثلة من الوصية:-

قال المتكلم (صلى الله عليه وآله): (والاقرار بأن الله تعالى أرسلني كافة للناس بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا).[١٧]

ومفهوم (السراج والسرج

معروفان، وسرج فلان عن فلان، إذا دافع عنهم، وسرج الله وجهه حسنه، والسرجوجه: الطريقة[١٨] و(البشير، الحسن الوجه، والبشرة، الجمال، والبشارة بالخير، والنذارة بغيره، و تباشير الصباح اوائله والمبشرات الرياح تبشر بالغيث)[١٩] والسرج (السين والراء والجيم) أصل صحيح يدلّ على الحسن والزينة والجمال من ذلك سمي السراج لضيائه وحسنه ومنه السرج للدابة هو زينته ويقال سرج الله وجهه، أي حسنه وجعله كالسراج.[٢٠]

ولقد استعار المتكلم البشارة والانذار والسراج المنير في غير معناها الحرفي الأول الذي وضعت له للتعبير عن معان أخرى مستلزمة فاستعير لفظ المشبه به للمشبه ((على سبيل الاستعارة المكنية بجامع أن كلا منهما يظهر المخفي))[٢١] بتعبيره (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسراج المنير، والاستجابة للإرسال الذي سيكون مؤداه الجنة التي بشر، بها ومعاندة الإرسال الالهي مقتضاه النار التي ينذر عنها، وبذلك خرج عن المعنى الأولي الذي وضعت له الألفاظ فالتبشير ليس عن الإرسال فقط ولا الإنذار عنه وإنما عن تبعاته ومتعلّقاته، كما أن السراج المنير له هو (المتكلم) بحرفية اللفظ وإنما هو جمال وضياء الهدى الذي أرسل به، إذن فالمعنى الحرفي غير مقصود لذاته، وإنما دعوته (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعاليمه التي ستكون محلا للتبشير والانذار ومفاهيمه وشريعته وأحكامه هي التي ستكون سراجا منيرا لأمته والصالحين من اتباعه، والجامع المشترك بين السراج وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الاهتداء والاستنارة والاقتفاء للأثر، من هنا ساغ للمتكلم خرق مبدأ الكيف مع الالتزام بمبدأ التعاون؛ لأن الاستلزام هنا يمكن للمخاطب تقديره)[٢٢] بخطوات محسوبة للوصول

إلى معناه وكنهه.

- يا أباذر ((لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت)) .

ومنها قول المتكلم (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أباذر إنَّ نفس المؤمن أشد ارتكاضا من العصفور حين يقذف به من شركه.

والركض: ما يدلّ على حركة أو تحريك يقال ركض الرجل دابته، وذلك ضربه إياها برجليه لتقدم[٢٣] (إن كلمة (ارتكاض) غريبة ونادرة في النصوص وهي تعني الاضطراب وهو درجات والارتكاض يقف على قمة مراتب الاضطراب، فإنه لا يستعمل في أي نوع من الاضطراب كان، والمؤمن الحقيقي وفق المنظور النبوي هو من يهتز وجوده لارتكاب الخطأ، مع الأخذ بالحسبان إن وراء انتخاب المعصومين (عليهم السلام) لهذه الكلمات من دون غيرها حكمة بالغة، وبلاغة فائقة وإلا كان باستطاعته أن يقول (أشدّ اضطرابا)[٢٤]، واستعارة ارتكاض العصفور في شركه لحال المؤمن حين سقوطه في فخ الشيطان وشركه بليغة الأثر في التعبير عن المعنى الجامع بين المراد الجدي والاستعمالي للنص، ممّا سوغ للمتكلم الخرق لمبدأ الكيف للمبالغة في بيان الحال المفترض عليه أن يكون حال وقوع المؤمن في الخطيئة، وعدم النظر لصغرها وحجمها بلحاظ النظر إلى من صدر منه الحكم بالترك والتجنب وهو مدعاة للارتكاض والاضطراب الشديد.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أباذر: ما دمت في الصلاة فأنت تقرع باب الملك الجبار ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له... يا ابا ذر ما من مؤمن يقوم مصليا إلا تناثر عليه البر ما بينه وبين العرش..).

ومعنى (القرع: الدق، والمقروع المختار للفحلة، والاقتراع الاختيار،

وايقاد النار، و المقارعة، المساهمة، و أن يقرع الأبطال بعضهم بعضا[٢٥] (والنثر للشيء ينثره نثرا ونثارا رماه متفرقا، والنثارة بالضم ما ينثره من المائدة فيؤكل للثواب)[٢٦] والبر: الصلة والجنة والحيز والاتساع في الإحسان وضد العقوق).[٢٧]

عمد المتكلم لانتهاك مبدأ الكيف من خلال أسلوب الاستعارة لفريضة الصلاة، إذ إنها مقدسة وعمود الدين أراد تعظيم شأنها واكبارها في ذهن السامع، فشبه المصلي حال كونه بالصلاة يقف أمام قصر عظيم فيه ملك الملوك الجبار، ومن لوازم هذا القصر أن له بابا تطرق، وإن المصلي يكثر طرق باب هذه المملكة العظيمة، وقد قام بحذف القصر وذكر شيء من لوازمه وهو الباب على سبيل الاستعارة المكنية، أو الخيالية؛ (لأن التخيلّية هي قرينة المكنية فهي لا تفارقها، ولأنه لا استعارة من دون قرينة)[٢٨]، فالدلالة الحرفية والمنطوق للألفاظ هو أن هناك مصليا يقرع باب ملك جبار مكررا، وأما المعنى المستلزم فهو بيان مدى عظمة العبادة وهي الصلاة وجلالة قدر المصلي حال وقوفه بين يدي الله لأداء الفريضة.

ومثله قوله (تناثر عليه البر) فقد استعار المتكلم (الوصف المحسوس للشيء «الثواب على أداء فريضة الصلاة» المعقول، ويجعلون كأن تلك الصفة -التناثر- ثابتة للشيء «وهو القيام للصلاة» في الحقيقة، وكأن الاستعارة لم توجد أصلا)[٢٩]، ومن هنا كان الخرق لمبدأ الكيف في الحوار مع الحرص على مبدأ التعاون الذي سوغ المبالغة والاستعارة في هذا الحال رغبة المتكلم في تعظيم أمر الصلاة وحث المستمع عليها ببالغ صور التعبير؛ لأنها (عماد الدين، وأول ما يسأل عليه العبد يوم القيامة، فإن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت ردّ ما سواها)[٣٠]، وبذلك

يكون الاستلزام المتضمّن في الخرق لمبدأ الكيف في النص هو بيان مدى عظمة الواقف بين يدي الله في الصلاة، والتعظيم لشأن القيام بها بشكل مبالغ فيه إلى حدّ استشعار المتكلم تلك الصور للتأثير في السامع مستخدما الحصر (بـ ما من ..الا) لتوكيد المعنى وتثبيته والاحتياط له؛ كي لا يمرّ من ذهن المتلقي.

ومن موارد الاستعارة أيضا قول المتكلم: (إن الأرض لتبكي على المؤمن إذا مات اربعين صباحًا).[٣١]

وقوله (إنَّ أحبَّ العباد إليّ المتحابون من أجلي المتعلّقة قلوبهم بالمساجد و المستغفرون بالأسحار...)[٣٢].

وقوله (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٣٣].

وقوله (يا ابا ذر من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو وجهين ولسانين في النار).

وقوله (يا ابا ذر دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن ورقك).[٣٤]

يظهر جليّا في هذه النصوص أن المتكلم يخرج عن الدلالة الحقيقية للألفاظ المستخدمة في النصوص التي بين أيدينا وينتهك المعنى المعجمي للملفوظات، وهو بذلك يقوم بخرق قاعدة الكيف التي تستلزم التقييد بالمعنى الحقيقي، وعدم خرق الأعراف اللغوية في قول المتكلم (إن الأرض لتبكي) استعارة البكاء من الإنسان (المستعار منه) إلى الأرض (المستعار له) وجعل الأرض وكأنها ذات عاقلة تقوم بما يقوم به العقلاء في جامع بين الأرض وبكاء الإنسان هو بيان قيمة وعظمة ومنزلة المبكي عليه هو المؤمن، وهذا التعظيم والتكريم لشأن المؤمن هو الذي سوّغ للمتكلم خرقه لمبدأ الكيف بهذه الاستعارة التي يستخدم فيها (إن

– واللام) (إن الأرض لتبكي) و هي الأصل في التوكيد وكثيرا ما استعملت في كتاب الله {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[٣٥]، وكثيرا ما يذكر مع أن لام الابتداء زيادة في التوكيد، واستلزاما لوجود إنكار من الطرف الآخر في هذا التعظيم الذى استدعى هذا التوكيد.

وكثيرا ما نجد هذه الاستعارات في القرآن الكريم كنسبة التنفس للصبح، والكلام لجهنم، والذهاب والمجيء للسموات والأرض، وهنا يتبيّن تخلق النبي الأعظم بأسلوب القرآن، فرأيناه ينسب البكاء الذي هو من صفات الأحياء إلى الأرض (وكأنها كائن حيّ مثل الإنسان والنبات الذي تتردد أنفاسه وتدّب فيه الحياة وليس طبيعة صامتة جامدة لا روح فيها ولاحسّ فيكسوها ثوبا جديدا غير الذي عهدناها عليه).[٣٦]

(وهذه هي الاستعارة بالكناية والذي دلنّا على هذا التشبيه كلمة تبكي على سبيل التخييل).[٣٧] بحذف المشبه به واستعارة شيء من لوازمه، فبكاء السماء والأرض على شيء فائت كناية تخيلية عن تأثرهما بموته وفقده، وفي رواية (قال أو تدري ما بكاء السماء؟ قال: تحمر وتصير كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وإن الحسين بن علي يوم قتل احمرت السماء).[٣٨]

وهذا (من خصائص الاستعارة الكثيرة، إنها تجعل الجماد حيًا ناطقًا وباكيًا كما في المثال، وتجعل الأعجم فصيحا، والمعاني الخفية بادية جليّة، وتجعل المعاني العقلية كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون)[٣٩]، وهذا ما رأيناه جليّا في بلاغة المتكلم .

وتتجلّى عملية اختراق الكيف أيضا بقول المتكلم (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) إذ استعار النظر من الكائن الحي المادي للمستعار له تعالى على سبيل

التقريب؛ لأنه تعالى (ليس كمثله شيء) و هو (لا تدركه الأبصار) و النظر (يرجع فروعه إلى أصل واحد هو تأمل الشيء ومعاينته،ثم يستعار ويتسّع منه،ومن باب المجاز والاتساع، قولهم نظرت الأرض أي: أرت نباتها -نظر الدهر إلى بني فلان فأهلكم)[٤٠] فتشبيه النظر اليه تعالى شأنه إنما أوردها المتكلم من باب (كلم الناس على قدر عقولهم) و(هذه هي الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة والتي سار عليها الاسلوب القرآني في أخص شأن يوجب التجريد المطلق والتنزيه الكامل فقال (يد الله فوق أيديهم) وقال (وجاء ربك والملك صفا صفا) في نسق متبع في التعبير يرمي إلى توضيح المعاني المجردة على نحو سنن التخيّل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير)[٤١]، وفي هذه الاستعارة تتجلّى قوة التأثير على المتكلم، والمبالغة في تحفيزه إلى الاهتمام بمحل نظر الله وهو القلب وليس الصور والأموال (والقلب الذي ينظر اليه الله تعالى له جانبان سلبي وايجابي، ويتمثّل السلبي بالغفلة التي يمكن أن تطرأ عليه، واشتغاله بأحوال الدنيا فتصدأ مرآته، والايجابي هو موطن الروح الخليفة الإلهي في أرض البدن الإنساني وهو يمثّل التجليّات الالهية والمعرفة الحقة والعلم الصحيح وهو نفحة من عالم الملكوت).[٤٢].

فالمعنى المستلزم يخالف المعنى الحرفي، ويزيد عليه في الدعوة إلى الإخلاص في العمل الذي محله القلب من دون الجوارح والوجدان، وإن النظر غير مقصود لذاته بل هو مدعاة للاهتمام بالقلب، وتخليصه من أمراضه كالرياء، والعجب، أو الحسد، أو الحقد أو الايمان والكفر، وكلها أعمال قلبية أراد المتكلم من المستمع الاهتمام بها والنظر لها من دون المال والجسد؛ لأنها محل نظر الله تبارك وتعالى. وبذلك تكون المفارقة بين الدلالة المطابقية

والاستلزامية وبين المفهوم والمنطوق، والحرفي والاستلزامي الاستعمالي خروجا عن الكيف في مبادئ التعاون مع مراعاته وفهمه من المستمع للمسوغات التي ذكرناها.

وكذلك يتجلّى خرق الكيف وانتهاك مجربات النظم اللغوية والقفز على المعنى الحقيقي إلى المستلزم المقامي بقول المتكلم ((من كان ذو وجهين ولسانين...)) إذ تتجلّى بلاغة الاستعارة من ناحيتين مجتمعتين من ناحية اللفظ تارة، ومن ناحية الابتكار تارة أخرى، فالأولى تركيبها يدلّ على تناسي التشبيه فيحملك عمدا على تخيّل صورة جديدة تنسيك روعتها وما تضمّنه الكلام من تشبيه خفي ومستور، ومن جهة الابتكار؛ لأنها القدرة التعبيرية التي تعين على تجسيد الأفكار والمشاعر والتخيلّات في عبارات تتجاوز المألوف[٤٣]، فقد أثبت المتكلم أنّ المنافق أو الكذاب هو ذو وجهين ولسانين في الدنيا . وهو بذلك ذو وجهين ولسانين في الآخرة، هو تعبير مجازي على نحو الاستعارة للنفاق والمنافقين، و(النفاق هو مخالفة السر للعلن سواء في الطاعات أو المعاشرات مع الناس، وهو أعم من الرياء وهو من المهلكات العظيمة التي تعاضدت الأخبار بذمه وأشدُّ أنواع النفاق -بعد كفر النفاق -كون الرجل ذا وجهين ولسانين بأن يمدح أخاه بحضوره ويظهر له النصيحة، ويذمه في غيابه ويتكلم لكل واحد بكلام يوافقه، وهو شر من النميمة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) تجدون شرّ عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر)) .[٤٤]

ومن الواضح إن مخالفة الكيف تمثلّت باستعارة الصفة للمنافق بأنه (ذو وجهين ولسانين) ومعناها الحرفي غير متصوّر وغير متحقّق وهو لا وجود له في عالم الامكان وإنما هو ضرب من

التخيّل والاستعارة ومخالفة المنطوق الحرفي للملفوظات إلى المعنى المستلزم وهو -النفاق -ولوازمه -هذا الوصف -كما مبيّن من حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والشيخ النراقي وبذلك كان الخرق للعرف اللغوي والقفز على المعنى الصادق الحقيقي إلى المعنى غير الواقعي مسوّغ من قبل المتكلّم، لتهويل وتعظيم جريرة النفاق والتحذير منها بأشد ما يمكن من الصور البلاغية، ولإيقاع التأثير في نفس المتكلم وزجرة وزحزحته عن هذا الخلق الذميم، ونلحظ هنا بأن المتكلّم لم يعمد إلى الحقيقة اللفظية كما هو مقتضى مراعاة مبدأ الكيف -بل عمد إلى الاستعارة -(ولكل استعارة حقيقة –هي أصل الدلالة على المعنى في اللغة فقوله تعالى (وجعلنا آية النهار مبصرة) حقيقتها (مضيئة) والاستعارة (مبصرة) أبلغ؛ لأنها تكشف وجه المنفعة وتظهر موقع النعمة في الابصار) [٤٥]. وكذلك هنا فالحقيقة هي النفاق المتعدّد الوجوه وإنما عبر عنه بـ(جهين ولسانين) لكشف حقيقة ما يقوم به المنافق وإظهار التجسيد لفعله الخبيث ولزيادة الترهيب والابتعاد عن هذا الخلق الذميم .

كما يوضح الانزلاق من المعنى الحرفي إلى آخر مستلزم، خلافا وانتهاكا لمجريات النظم اللغوية قوله (متعلقّة قلوبهم في المساجد) بوصفه تعبيرًا مبالغًا فيه على نحو الاستعارة لحبّ بيوت الله، والتردّد اليها، وكأن قلوبهم ساكنة ومتعلقّة في تلك البيوت، إذ إن الاستعارة هنا (جعلت الأوصاف المادية أوصافا روحانية لا تنالها إلا الظنون – وكأنها قد تجسّمت حتى رأتها العيون)[٤٦] (فالاستعارة هنا تفعل في نفس السامع مالا تفعله الحقيقة[٤٧])، فالتعبير بتعلّق القلب بالمساجد أشدُّ بلاغة ومبالغة من قول

المتكلم، والمترددين إلى المساجد، وهو أوقع في النفس وأشدُّ ترغيبًا وهذا ما يقصده المتكلّم وهو ما سوغ له خرق الكيف والدلالة الحرفية ليصل إلى ما يريد أن يصل إليه، (فالاستعارة هنا ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة[٤٨] بين المعنى الحقيقي وهو التردّد وحبّ المساجد والمعنى المجازي وهو التعلّق القلبي بها، والعلق يرجع إلى معنى واحد وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي ثم يتسّع الكلام فيه والمرجع كله إلى الأصل الذي ذكرناه والعلاقة الحبّ اللازم للقلب، ومن الاستعارة قولهم علق دم فلان بثياب فلان، إذا كان قاتله)[٤٩] (والعلّيق شجر، والعلقى نبات تدوم خضرته، ويقال بعير عالق، يرعى العلقى)[٥٠] (فالاستعارة هنا قد حققت غرضين من أغراضها الايجاز والبيان)[٥١] إلا إنها خرقت المدلول الأولي الحرفي بآخر استعمالي تداولي، وقفزت به من معناه الحقيقي الذي وضع له لأخر مقصود، والجامع المشترك هو إناطة الشيء بالشيء العالي، وهو هنا إناطة قلوبهم ببيوت الله، وهذا المعنى قصدة المتكلم لمزيد من المبالغة في حض أمته ودعوتهم لريادة مساجد الله وتعظيمها، لذا كان الخرق الكيفي حاسما للمتكلم مفهوما للمستمع .

ومثله قول المتكلم (اخزن لسانك) فاستعارة الخزن للسان هو خرق لمبدأ الكيف، وهو عدول عن المعنى الحقيقي الحرفي الموضوع للألفاظ إلى معنى استعمالي يستلزمه الحوار وأهدافه .

(فأصل الخزن يدلّ على صيانة الشيء، يقال: خزنت الدرهم وغيره خزناً، وخزنت السر)[٥٢] فالاستعارة هنا وقعت من خلال فعل الأمر (اخزن لسانك) والاستعارة بالفعل (تنطوي على مادة، وهي الحروف الدالّة على حدث معيّن، وعلى صيغة، وهي

الهيئة الدالّة على زمن معيّن كالماضي والمضارع، والمعنى أن هذه الاستعارة في الفعل تقع على ضربين: استعارة في مدلول الفعل، أي الحدث، واستعارة في صيغة الفعل، وهو الزمان)[٥٣] فاستعارة اللفظ (أخزن) للمستعار له وهو اللسان في عملية (المراقبة)، أي (راقب) لسانك عن أن يقع في الزلل أو احكم نطق لسانك عن الخطأ - لجامع مشترك بين الرعاية والتحفّظ والخزن وهو الحماية والصيانة على أن (لكل استعارة قرينة تصرف الذهن عن المعنى الوضعي للكلمة إلى المعنى المجازي، وهي مؤشر دلالي يحدّد كون الكلمة مستعارة من معناها الوضعي لمعنى آخر بينه وبين الأول علاقة التشابه، وقد تكون هذه القرينة لفظا أو شاهد حال)[٥٤] وهكذا نعلم أن المتكلم قفز عن المعنى الحقيقي وانتهك مجريات النظم اللغوي بصورة بلاغية رائعة في ظرف متعمد وبلاغي ومتصوّر لمبدأ الكيف ليحقق معاني مستلزمه في الحوار، وليبالغ في دعوته لحفظ اللسان من الزلل لعلمه إنه مفتاح الفضائل والرذائل في ذات الوقت، وأنه بسببه يُكب الناس على مناخرهم في النار، ليكون المعنى الحرفي هو خزن اللسان، والمعنى المستلزم والقانوني هو المبالغة في حفظ ما ينطق به اللسان والإنسان، وما يتكلم به من حديث، وليتحرى الصدق في بيانه، وهكذا يتبيّن أن الخرق من خلال الاستعارة يعدّ من أهم أساليب الكلام، وعليها المعوّل في التوّسع والتصرّف وبها يتوّصل إلى تزيين الألفاظ، وتحسين النظم والنثر وبلاغتها من ناحيتي اللفظ والابتكار، وفيها قدرة التعبير على تجسيد الأفكار والمشاعر والمخيّلات في عبارات تتجاوز المألوف، وقدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد.

الْخَاتِمَة

• اظهر الْبَحْث أَهَمِّيَّة الإِفَادَة الْكَبِيرَة مِنْ مبادئ الاِسْتِلْزَام الْحوارِيّ لِلتَّعَرُّف مِنْ خِلَالِهَا عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي يَسْتَلْزِمُهَا السِّيَاق وَالَّتِي يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ حِين مُخَالَفَتِه عَامِدًا لمبادئ الاِسْتِلْزَام الحواري.

• تبيّن مِنْ خِلَالِ الْبَحْثِ أَنَّ مَبْدَأَ الْكَيْفِ الَّذِي يَتَحَرَّى الصِّدْق الْحَرْفِيّ هُوَ مِنْ مَقُولَات مبادئ جرايس، وَإِن مُخَالَفَة الْمُتَكَلِّم لَهُ تُنْتِج لَنَا استلزامات عَظِيمَة الْأَثَر، وعميقة الدَّلَالَة عَلَيْنَا تَحَرِّيهَا وَالْبَحْث عَنْهَا لِلْوُصُول لمرامي الْمُتَكَلِّم.

• تبيّن مِنْ الْبَحْثِ أَنَّ الْخَرْقَ الْمَقْصُود وَالْحَكِيم مَنْ لدن الْمُتَكَلِّم لِقَاعِدَة الْكَيْف بِوَساطَة الاِسْتِعَارَة يُولِّد الاِسْتِلْزَام الْحوارِيّ، وَيتِمُّ هَذَا الاِسْتِلْزَام بِوَساطَة عَمَلِيَّة نَقل وَتَحَوَّل الْقُوَّة الْحَرْفِيَّة إلى قُوَّةٍ أُخْرَى كتحوّل الاِسْتِفْهام إلى دعاء- وَأَنَّهُ يَتَعَيَّنُ التَّمْثِيل لِلْقُوَّة الْحَرْفِيَّة وَالْقُوَّة الْمُسْتَلْزَمَة مَعًا فِي الْبِنْيَة التَّحْتِيَّة لِلْجُمْلَة مَع التأشير أَنَّ الثَّانِيَة مُحَوَّلَةٌ عَنْ الْأُولَى.

• كما اتَّضح للقارئ أَن الانْزِلاق مِنْ الْمَعْنَى الْحَرْفِيّ إلى آخِرِ مُسْتَلْزَمٌ خِلَافًا لمجريات النَّظْم اللُّغَوِيَّة هُوَ مِنْ شَأْنِهِ دَعْم الْمَعْنَى وَتَقْوِيَته فِي ذِهْنِ الْمُتَلَقِّي بوصفه تعبيرًا مُبَالغًا فِيهِ عَلَى نَحْوِ الاِسْتِعَارَة لِحُبّ بُيُوتِ اللهِ وَالتَّرَدُّد إلَيْهَا وَكَأَنَّ قُلُوبَهم سَاكِنَةٌ وَمُتَعَلِّقَةٌ بتِلْكَ الْبُيُوتِ.

• وجدنا فِي الاِسْتِعَارَات التداولية تَأَثُّر الْمُتَكَلِّم بِالْخِطَاب الْقُرْآنِيّ وَتَأَدُّبًا بِه (كنسبة التَّنَفُّس لِلصُّبْح، وَالْكَلَام لِجَهَنَّم، وَالذَّهَاب وَالْمَجِيء للسموات والأرض)، وَهُنَا يَتَبَيَّن تَخَلَّق النَّبِيِّ الْأَعْظَم (صلى الله عليه وآله) بِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ، فَرَأَيْنَاه ينْسبُ الْبُكَاء الَّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْأَحْيَاءِ إلى الْأَرْضِ (إن الْأَرْض لتبكي عَلَى الْمُؤْمِن) وَكَأَنَّهَا كَائِنٌ حَيّ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَتَرَدَّد أَنْفاسُه، وتدّب فِيهِ الْحَيَاةُ وَلَيْسَ طَبِيعَةً صَامِتَةً جَامِدَةً لا روح فِيهَا ولاحس فَيَكْسُوهَا ثَوْبًا جَدِيدًا غَيْرَ الَّذِي عهدناها عَلَيْه.

الهوامش:

١- مدخل إلى التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة: ١٠١ .

٢- محاضرات في فلسفة اللغة:٢٨ .

٣- استراتيجيات الخطاب دراسة تداولية: ٤٣٧ .

٤- اللسان والميزان: ٢٣٩ .

٥- أساليب البيان في القرآن: ٤٥٩ .

٦- أسرار البلاغة للجرجاني:٢٠ .

٧- مفتاح العلوم للسكاكي :٢٨٦ .

٨- نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز: ١٣٣ .

٩- المصدر نفسه: ١٦٣ .

١٠- بديع القرآن: ١٩ .

١١- التركيبات الوظيفية: ١٣٤ .

١٢- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الامثال الكلامية في التراث العربي: ٣٥ .

١٣- دينامية النص: ٦٦ .

١٤- اسرار البلاغة: ٤٢-٤٣ .

١٥- ادعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية :٧٧ .

١٦- أساليب البيان في القرآن:٥١٩ .

١٧- البحار للمجلسي، ٧٤ / ٧٤ .

١٨- مجمل اللغة: ٤٩٤ .

١٩- مقاييس اللغة:١ / ٢٥١.

٢٠- المصدر نفسه :١٥٦ .

٢١- أساليب البيان:٦٢١.

٢٢- افاق جديدة :٣٩.

٢٣- مقاييس اللغة لابن فارس:٢ / ٤٣٤: مادة ركض .

٢٤- ابا ذر : ١٦٥ .

٢٥- القاموس المحيط:١٣١: مادة قرع.

٢٦- المصدر نفسه :١٥٨٠، مادة نثر: ٩١٠٣ .

٢٧- نفسه:١١٤ مادة بر: ٤٨١.

٢٨- أساليب البيان في القرآن: ٥٣٥.

٢٩- نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز:١٤٧.

٣٠- عين الحياة للمجلسي: ١/ ٥٤ .

٣١- البحار للمجلسي: ٧٤ / ٨٤.

٣٢- المصدر نفسه:٨٦.

٣٣- نفسه:٨٨.

٣٤- نفسه:٧٧.

٣٥- سورة البقرة: ١٤٣.

٣٦- القرآن والصورة البيانية:٢٠٦.

٣٧- المصدر نفسه: ٢٠٣.

٣٨- الميزان في تفسير القرآن:١٨/ ١٤٥.

٣٩- صناعة الكتابة وعلم البيان والبديع والمعاني: ٥٠.

٤٠- مقايس اللغة: ٥ / ٤٤٤.

٤١- أساليب البيان في القرآن: ٦٧٠.

٤٢- فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند يحيى الدين بن عربي: ٢١٧.

٤٣- أساليب البيان في القرآن: ٦٨١.

٤٤- جامع السعادات: ٢ / ٣١٩.

٤٥- صناعة الكتابة علم البيان والمعاني والبديع : ٤٤.

٤٦- صناعة الكتابة: ٥٠.

٤٧- المصدر نفسه: ٥٠.

٤٨- في البلاغة العربية: ١٧٥.

٤٩- مقايس اللغة لابن فارس: ١٢٧.

٥٠- سفر العامة وسفير الافادة: ١ / ٢٧٧.

٥١- في البلاغة العربية: ١٩٨.

٥٢- مقاييس اللغة: ٢ / ١٧٨.

٥٣- المفصل في علوم البلاغة العربية: ٤٧٣.

٥٤- المصدر نفسه: ٤٥٦.

المصادر والمراجع:

١- ابا ذر -صادق الحسيني الشيرازي، مؤسسة الرسول الأعظم الثقافية، ط١، ٢٠٠٩.

٢- أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية، رسالة ماجستير، عمار حسن عبد الزهرة' جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠ .

٣- أساليب البيان في القرآن، جعفر الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ط١، ١٤١٣هـ.

٤- استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب، ٢٠١٣م.

٥- أسرار البلاغة، الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(٤٧١هـ)، تعليق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٦- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٧- القرآن والصورة البيانية، الدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ .

٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي ت (١٠٣٧ - ١١١١هـ)، تحقيق وتعليق جلال الدين علي الصغير، راجعة وقدّم له الشيخ محمود درياب النجي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٩- بديع القرآن لابن أبي الاصبغ المصري (٦٥٤ ت)، تحقيق حقي محمد شرف، النهضة للطباعة والنشر (د. ت).

١٠- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداويلة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث الساني العربي، د.مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط٢٠٠٥، ٥م.

١١- التركيبات الوظيفية، احمد المتوكل، قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان

- الرباط الطبعة: الأولى - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٢- جامع السعادات - محمد مهدي النراقي -ط٤، منشورات دار النعمان، ٢٠١٢.

١٣- دينامية النص، تنظير وايجاز محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط١، ١٩٨٧.

١٤- سفر السعادة وسفير الافادة، الامام علم الدين السخاوي(ت، ٦٤٣) دار صادر بيروت .الطبعة الاولى، ١٩٨٣.

١٥- صناعة الكتابة، علم البيان والمعاني والبديع، دكتور رفيق عطوي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٨٩.

١٦- عين الحياة -للعلامة المجلسي، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين بقم، ايران، الطبعة الاولى، ١٤١٦هج.

١٧- فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي، نصر حامد ابو زيد.

١٨- في البلاغة العربية -عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥.

١٩- القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (٨١٧ هـ) اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت - لبنان، (د.ط).

٢١- مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)

٢٢- محاضرات في فلسفة اللغة، د.عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٢٣- مدخل إلى الدراسة التداولية

(مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل) فرانشيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم، يحيى حمدان، دار ينبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط١، ٢٠١٤م.

٢٤- معجم مقاييس اللغة، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩.

٢٥- مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٦- المفصل في علوم البلاغة، دكتور علي عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٢٧- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، الشيخ اياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٢٨- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين الرازي(٦٠٦هـ)، تحقيق الدكتور نصر الله مفتي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.